نظرات في مقررات لغتي الخالدة

أ.عبدالعزيز بن حمد بن سليمان العمار

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين ، أما بعد فإن اللغة تعد « أداة فكر وعقيدة «١ ، ومن هنا انبعث الخوف على الجيل في زمن تتنافس فيه الثقافات ،وتتزاحم فيه اللغات مستغلة كل ما توصلت إليه .ومنذ القدم قد شمر سلفنا الصالح والرعيل الأول من هذه الأمة المباركة عن ساعد الجد خدمة لهذا القرآن وامتثالا لأمر الله في قوله :» كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب «٢وحفظا للغة العرب بما تحمله من هوية وعراقة ، فنظروا في القرآن الكريم وكلام العرب نظر المستبصر ، وسهروا سواد ليلهم يتأملون في نظام هذه اللغة ، وأفنوا بياض يومهم يدرسون جهة القول ، وكان من رحمة الله أن وفقهم لقوانين علمية وقواعد مطردة، بها استطاعوا أن يتفكروا في آيات الله ، ويظهروا طرفا من أسراره ، ويجلوا شيئا من أوجه إعجازه ، ويفسروا كلامه سبحانه وتعالى ، ويلحقوا المستعربَ القحَّ يحذو حذوه ، ويتكلم بلغته ، ولم تكن لديهم آنذاك مدارس ومقررات ، إنما يجلس العالم في مسجده أو في بيته ويتحلق حوله المتعلمون يملي عليهم من حفظه وبنات فكره، ويعد أفلاطون أول من أشار إلى أهمية وجود منهج يستعمل مسلكا أو طريقا لإعداد أفراد مجتمعه٣،وظل الحديث بعده شذرا متفرقا حتى جاء القرن العشرين، فصار علما له مؤسساته وعلماؤه وكتبه، واليوم تنوعت العلوم، وازدهرت المعرفة، واستقرت كثير من العلوم النظرية كالنحو والصرف وغيرها ، وأنشئت المدارس والجامعات ، فصار الناس بحاجة لنظام يسيرون عليه في التعلم ، فصممت المقررات التعليمية للمتعلمين ، وصارت تتنافس بتصميمها الدول ومؤسساتها ؛ لإنتاج جيل مثمر، ينهض بوطنه أصيلا بما تركه له سلفه ، عصريا بما وصل إليه الإنسان اليوم .

التمهيد

هذه كلمات في نقد مقررات لغتي الخالدة للمرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية من وجهين

- الوجه الأول : الأسباب والأسس التي ذكرتها الإدارة العامة للمناهج يمثلها المشروع الشامل للتطوير ٤ .
- الوجه الثاني : مقررات لغتي الخالدة بالنظر إلى الأسس العلمية لبناء المقررات .

ولغتي الخالدة هي مقررات دراسية يدرسها طلاب المرحلة المتوسطة في المملكة العربية السعودية، وقد قرأتها ودرّستها ، فخبرتها ، ورأيت أثرها على الطلاب الذين أدرسهم ، والطلاب الذين أستقبلهم من مدارس أخرى أو من المرحلة الابتدائية، ولشدة ارتباط المعلم والطالب بالمقررات ربما أتعرض لأحدهما بالنقد حين يكون نقده مفيدا للمقررات أو عائدا إليها ،وقد دفعني لكتابة هذا النصيحة بالدين ، ونقل التجارب للآخرين ، والشعور بمسؤولية النهضة بالدين والوطن والأمة ، و إيمانا لما يعتري الإنسان من النقص الذي لا يراه بعينه حتى يجد من يعينه على تداركه والعمل على إصلاحه ، ولما نعيشه من الانفتاح الفكري ، والتطور التقني ، وحاجة الأمة إلى النقد الصادق ، كتبتها محسنا الظن بالذين صمموا مقررات لغتي الخالدة ، أنهم بذلوا جهدهم ، وقدموا غاية عملهم وأملهم ، وأنهم اجتهدوا ونالوا بإذن الله أجر الاجتهاد ، وأسأل الله سبحانه أن يوفقني وإياهم لما فيه صلاحنا إنه سميع قريب مجيب .

ولم أقرأ بحثا في نقد هذه المقررات إلا مقالات غير علمية وخواطر جاء في ضمنها الإشارة إلى المقررات وتدريسها ودراستها .

وأود أولا أن أشير إلى أنه يقع خلط بين مصطلحي المنهج والمقرر ، وهناك اتجاهات في تعريف كل منهما

، فالاتجاه التقليدي يرى أن المنهج هو محتوى المقرر الدراسي٥ ، ومنهم من يرى أن المنهج «مجموعة المواد الدراسية الذي يتولى المتخصصون إعدادها ، ويقوم المعلمون بتنفيذها أو تدريسها ، ويعمل الطلاب على دراستها»٦ ، وأما الاتجاهات الحديثة فترى أن المنهج «جميع ما تقدمه المدرسة إلى تلاميذها تحقيقا لرسالتها وأهدافها ووفق خطتها في تحقيق هذه الأهداف»٧ ، ومنهم من يرى أنه الخبرات التعليمية٨، ومنهم من يرى أنه أنماط التفكير ٩، ومنهم من يرى أنها غايات نهائية نسعى لتحقيقها١٠ ، وهناك من يرى أنه خطة عمل تربوية مكتوبة١١ ، وأما المقرر فهو الكتاب المدرسي ، ويعرف بأنه «الوعاء الذي يحتوي على الخبرات غير المباشرة ، وتلك الخبرات تسهم في جعل المتعلم قادرا على بلوغ أهداف المنهج المحددة سلفا»١٢ ، وله تعريفات كثيرة منها أنه «مجموعة من الوحدات المعرفية التي تم استخراجها بشكل يناسب مستوى كل صف من الصفوف الدراسية ،ويتدرج في عرضه لتلك الوحدات المعرفية وفقا للأعمال الزمنية للمتعلمين حتى يسهم في تحقيق نموهم المتكامل بما يحقق تكيفهم مع ذاتهم»١٣ .

وبعد أن جليت الفرق بين المنهج المقرر، وعرّفت الكتاب المدرسي أسلط الضوء مختصرا حول المواصفات التي يجب أن تراعى عند إعداد الكتاب المدرسي :

١- من حيث التأليف ١٤: يجب أن يؤلف الكتاب متخصصون من أهل الخبرة في المادة الدراسية يشاركهم في التأليف فريق متخصص في الوسائل التعليمية ؛ لنضمن الدقة في العرض والصواب في الطرح .

٢- من حيث المحتوى١٥ : يجب أن يكون مرتبطا بالأهداف ، ويكون مرتبطا بحاجات المتعلم وقدراته وحاجات المجتمع ، ويكون منسجما مع التقدم العلمي ، كما يجب أن تكون موضوعات الكتاب مترابطة مع بعضها ومتدرجة في عرضها للموضوعات ، ويكون متوازنا بين عمق المحتوى وشموله ، ويكون متنوعا بتنوع الفروق الفردية بين المتعلمين محتويا قدرا كافيا من الأسئلة والاختبارات التي تقيس تفكير المتعلم ، وأن يعتني بالنشاط المصاحب كالاطلاع والأبحاث .

- وأما من حيث الإخراج (الشكل) : فيجب أن يكون غلافه متينا وجذابا ، وأن يكون الورق مصقولا حتى لا يتلف ، وأن يكون حجم الكتاب مناسبا ، وأن تكون عناوين الفصول الرئيسة والفرعية مميزة من أجل التركيز ، وأن تكون الوسائل التعليمية مناسبة للموضوعات١٦ .

نظرات في مقررات لغتي :

يتكون مقرر لغتي الخالدة من ثلاثة كتب كتاب الطالب وكتاب النشاط ودليل المعلم ، وهو خاص بالمعلم ، أما كتاب الطالب فقسم ست وحدات ، يدرس التلميذ ثلاث وحدات في الفصل الأول ، وثلاثا في الفصل الثاني ، وكتاب النشاط مثله يدرس متزامنا معه ، ولكل وحدة مجال تطوف حوله الأمثلة حلا لمشكلة التفتيت اللغوي١٧ ، ومن خلال «نتائج الدراسات والبحوث وتجارب الآخرين التي أكدت ضرورة تبني كفايات قيمية إسلامية لسانية وطنية وثقافية تمكن المتعلم من الاندماج في الحياة والتعايش مع المجتمع وحسن التواصل بشكل إيجابي «١٨ ، وقد صمم المقرر بناء على مبادئ تربوية ، وهي :

- مبدأ الوحدات : حيث قسم المقرر ست وحدات يدرس الطالب ثلاثا في الفصل الأول وثلاثا في الفصل الثاني .
- مبدأ التكامل : حيث تتصل مكونات الوحدة الدراسية ومعارفها بالمحور ومجاله وجوّه العام .
- مبدأ التعلم الذاتي : حيث يتيح للتلاميذ استعمال مصادر المعرفة المتنوعة .
- المبدأ الاتصالي : حيث يتيح المقرر للمتعلمين التعامل مع اللغة على أنها عادات سلوكية اجتماعية١٩ .

وقد صممت هذه الوحدات متمشية مع النظرية البنائية التي ترى أن ينمي المتعلم المعرفة داخل عقله ، وأن يفسر ما يستقبل من معلومات ومعارف بحيث يكون مجتمعه شريكا في بناء معرفته . وأرى أن هذه طريقة بديعة في تصميم المقرر الدراسي ، وصعبة الإعداد ، ولا ينهض بحمل هذه الأهداف وإعداد هذه الوحدات إلا خبير قد وفقه الله ، وبعد قراءتي لمقررات لغتي الخالدة وتدريسه لسنوات تبين لي ما يلي :

١- عدم تهيئة الميدان من وجوه :

أ- عدم توفير الوسائل والأجهزة والمواد التعليمية في الفصول والمدارس بشكل كاف .

ب- عدم تدريب المعلمين وتأهيلهم بالشكل الصحيح لتدريس المقررات لاسيما أنها تقدم إستراتيجية جديدة عليهم في التدريس .

ت- عدم تثقيف المجتمع الذي يحمل الفكر القديم في الدراسة والتدريس بأسلوب دراسة المقررات وتدريسها بشكل كاف .

٢- صعوبة مصطلحات المقررات :

قد استعمل المصممون مصطلحات غريبة وغامضة على المتعلمين في فهمها ومرادها ومعناها ، فعلى سبيل المثال لا الحصر : (الفهم القرائي٢٠ ،والتنمية القرائية٢١ ، والرسم الكتابي٢٢، والرسم الإملائي٢٣، والأداء الكتابي٢٤، الوظيفة النحوية٢٥) وغيرها كثير من المصطلحات الغريبة والغامضة والموهمة التي يجوز أن تحمل المعنى نفسه ، وبإمكاننا أن نجد لها بديلا يناسب المرحلة ، ويحل الإشكال . كما أنه يوجد في المقررات بعض التعقيد في صياغة الجمل ، فمثلا :» أصمم خريطة مفهوم تحديد نوع شاغل موقع المبتدأ والخبر «٢٦

٣- طول الوحدات الدراسية :

يلاحظ قارئ المقرر تطويلا كثيرا في تصميم كثير من الدروس ، ووجود الحشو الذي يعطل سير المتعلمين إلى الدروس اللغوية التي هي الثمرة من المقرر ،كالتطويل في مداخل الوحدات ومنح المدخل حصتين بينما يمنح الدرس اللغوي حصة واحدة، ووضع دروس بسيطة جدا كدرس (رسم ل ، لا بخط الرقعة)٢٧ ، ودرس (رسم الحرفين ك ،م بخط الرقعة)٢٨ وغيرهما ، وتطويل التدريبات فيما يسميه المصممون (الفهم القرائي) و (أقرأ وأجيب) . وهذا التطويل جعل المعلم حيران بين أن يسرع في إنهاء الدرس على حساب عدم فهم التلاميذ حتى ينجز الوحدة ، أو يحرص على مشاركة التلاميذ وبالتالي يقصر الوقت دون إتمام الدرس ، وعليه يتأخر المعلم عن إتمام الدروس في كتاب الطالب ومتابعة كتاب النشاط ، بل ربما لا يستطيع أن يأخذ من الدروس اللغوية إلا درسا واحدا ، فيتفاجأ بموعد الامتحان ، وبداية وقت الوحدة التالية دون أن يأخذوا دروسا لغوية !

وهذا التطويل أيضا جعل بعض المعلمين يسرع في تجاوزه ، وتجاوز مداخل الوحدات أو أخذ فكرة سريعة عنها وإجابة بعضها في سبيل الوصول إلى الدروس اللغوية ؛ لأن ثمرة المقرر في الدروس اللغوية من وجهة نظره .

٤- قلة النصوص الأدبية وضعف انتقائها :

ومعلوم أن النصوص الأدبية سبيل لصقل ألسنة المتعلمين وتعويدهم على العربية السليمة من خلال قراءتها واستظهارها وتكرارها ،كما أنها رافد لإثراء المتعلم بالذخيرة اللغوية ، فلا أدري لماذا لم تُنتق نصوص من العصور المتقدمة التي تجمع الفصاحة والبلاغة وعلو الأسلوب وجودة التراكيب وعذوبة الذوق ؟! فالعصر الجاهلي مثلا فيه قصائد كثيرة جلية يعرف ظاهر معناها كل شخص مع ما تتميز به من انتقاء المفردة ، وإشراقة الفكرة ، ومتانة الأسلوب ، وجلاء المعنى .

٥- سطحية الدروس اللغوية :

قُدمت الدروس اللغوية بشكل سطحي جدا ، وتجاهل مصممو مقررات لغتي الإعراب بطريقة تثير الاستغراب ، وهو لب الدراسة اللغوية وجوهرها ، والسبيل إلى معرفتها يقول عبدالقاهر الجرجاني :» قد عُلم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه ، لا ينكر ذلك إلا من ينكر حِسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه»٢٩ حيث يشعر القارئ كأن الهدف من عرض الدرس اللغوي إيصال الفكرة العامة للدرس دون التعمق فيه وإثرائه وذكر قيوده وشروطه بما يفي ويكفي ويناسب المرحلة ؛ حيث يقدم الدرس من فكرة إلى فكرة ومن ذكر الوجوه والفروق البسيطة في الدرس اللغوي حتى يتوصل الطالب للقاعدة أخيرا ، وينتهي الدرس دون تطبيقات تعين الطالب على فهم الدرس، والتمكن منه، والقدرة على التطبيق عليه .

نعم ، هناك تطبيقات لغوية في كتاب النشاط ، ولكنها غير كافية ؛ فلو أن المعلم اجتهد وقدم للمتعلمين تطبيقات لغوية سيتفاجأ بانتهاء الوقت دون إتمام الدرس ، وعليه تختل الخطة .كما أنه تواجه المعلم مشاكل عديدة أثناء الدرس – وكثيرا ما تحصل – بسبب الفروق الفردية للمتعلمين وضعف معرفتهم اللغوية وتأهيلهم للتعلم على هذا النمط من المقررات مثل : عدم مقدرة المتعلم على إتمام تدريبات كتاب النشاط ، أو عدم وجود فكرة لدى المتعلم عن أساسات الدرس ،أو عدم فهم عنصر من عناصر الدرس ، أو بطء الطالب في الكتابة كل ذلك يحول دون إتمام الدرس – وقد فعل – ، وعليه تختل الخطة ، ويتأخر الركب .

٦- تشتيت الطالب في كثرة التدريبات بين كتاب الطالب وكتاب النشاط :

ففي كتاب الطالب هناك ما يسميه المصممون (الفهم القرائي) و (التنمية القرائية) و (أقرأ وأجيب) و (أنمي لغتي) ، وهي تشتمل على تدريبات لغوية ومناقشة تحليلية لنص سابق شعرا كان أو نثرا ، مع وجود تدريبات لغوية في كتاب النشاط . وتشتيت الطالب أيضا في إحالته لنص سابق ومطالبته باستخراج شيء ما أو استنباط فكرة ما في أثناء درس متقدم جدا مما يجعل الدرسين متضاربين ، حيث يضيع الوقت بين درسين مختلفين من أجل إجابة سؤال واحد ، وهذه الطريقة في الأسئلة موجودة في المقررات كلها ٣٠.

٧- قلة الواجبات المنزلية : وقد تقرر الأثر الإيجابي المترتب على الواجب المنزلي لما يفيده المتعلم من تذكيره بالدرس وترسيخ المعلومة لديه ، ويجعل المتعلم متواصلا مع المعلومة حتى أثناء بقائه في المنزل مما يجعله أكثر استحضارا ، ويتيح للمعلومة أن تأخذ مكانها في عقله .

٨- سوء عرض الصور :

تعد الصور مما يجذب المتعلم لمحتوى الدرس ، والملاحظ أن كثيرا من الدروس تحوي صورا صغيرة ، فلم تحذف ويستغنى عنها لعدم جدواها ، ولم تكبر وتوضع بشكل علمي تلفت انتباه المتعلمين٣١

٩- رداءة ورق الغلاف وطباعته :

ورق الغلاف رديء جدا ، وسهل التمزق ، وطباعته وألوانه تشبه كتبا أخرى جعلت المتعلم أحيانا يحضرها متوهما أنها كتب لغتي الخالدة .

١٠-عدم توفير أدوات تقويم للمعلمين :

قد وضح مصممو المقررات في دليل المعلم توزيع درجات التقويم، وعرّفوا أنواع التقويم وبعض الأدوات ، ولكنها خلت من أداة تعين المعلم على تقويم المتعلمين ، الأمر الذي جعل المعلمين يتحيرون في تقويم المتعلمين ، فلجأ كثير منهم إلى الاعتماد على الاختبار التحريري فقط ، وهكذا اختلت خطة تصميم المقررات ، وفقدت قيمتها التعليمية التي أرادتها الإدارة العامة للمناهج .

١١-إلزام المعلم بطريقة تدريس واحدة :

كتاب دليل المعلم يوضح للمعلم كيف يبدأ الدرس ؟ وكيف يأمر التلاميذ؟ وكيف يقترح عليهم؟ وماذا يقدم لهم ؟ وكيف يتعامل مع هذه الفكرة ، وتلك المعلومة ؟ وقد صُمم كتاب الطالب وكتاب النشاط بناء على دليل المعلم ، والعجيب أنه بعد هذا كله يقول مصممو المقررات :» هذا الدليل مهما كانت منطلقاته وتوجهاته لا يشكل أي سلطة على المعلم وطلابه ،ولا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يحد من إمكاناتهم الإبداعية في التعامل مع اللغة ومهاراتها المختلفة»٣٢ ،وهذا غير دقيق ألبتة ؛ فالمعلم غير قادر أصلا على التعليم في كتابي لغتي الخالدة من دون متابعته ؛ وهذا تقييد لإبداع فئة كبيرة من المعلمين ممن حباهم الله الأمانة والملكة ، وهو مناف أيضا أسلوب التربية والتعليم الذي يقتضي التنويع في طرق التدريس واستثمار ملكات المعلمين الموهوبين في تقديم الدروس ، إذ ليس من الصواب أن طريقة دليل المعلم هي الطريقة الفضلى التي لا يفضلها شيء ، فلو صمم المقرر على أن يترك للمعلم الحق في اختيار طريقة التدريس لكان أجدى .

١٢- النظرة الواقعية غير الدقيقة للميدان في تصميم المقررات :

هذا المنهج البديع الرفيع صمم على أن المتعلم لديه رغبة جامحة في التعلم ، فلا يكتفي بما هو موجود في كتبه ، بل ينطلق منه إلى الشبكة العنكبوتية والمكتبة والمجلات ليقرأ وينتقي ، ولدى المعلم الوقت الكافي لإعطاء كل طالب حقه في القراءة والمناقشة والتقويم وتأدية المهارات جميعها ، والواقع أن الفصول مكتظة بالمتعلمين، وأكثر المتعلمين لا يملكون الرغبة في التعلم بلهَ المشاركة في صناعة الصورة الكاملة للمعلومة والبحث عما وراءها من المعرفة ، والمعلمون يعانون بين محتوى المقرر وضعف الطلاب ومدة الدرس وطول المنهج .

وبعد قراءة المقررات وتأملها وتدريسها وتجربتها أنتهي لما يلي من توصيات :

- تعديل المقررات أو تغييرها حيث لوحظ الضعف الشديد لدى المتعلمين بعد تدريسها .
- العناية بالإعراب لما فيه من القدرة على التحليل اللغوي وإعمال الذهن والتدريب على التفكير المنطقي.
- تهيئة الميدان بالوسائل التعليمية والمواد العلمية والأدوات اللازمة للدرس .
- تأهيل المعلمين بشكل فاعل يسهم في رفع مستواهم المعرفي والتطبيقي ،وإعداد برامج متنوعة لرفع كفاءتهم التربوية والتعليمية من حيث أخلاقيات المهنة ، والتمكن العلمي ، وتخطيط مواقف التدريس وتصميمها ، وإستراتيجيات التدريس ، وإدارة بيئة التعلم ، والتقويم ، والتنمية المهنية .
- إعداد برامج إعلامية لتثقيف الوالدين بأسلوب المقررات الدراسية الجديدة .
- يجب أن يشترك في تصميم المقررات علماء وخبراء ومشرفون ومعلمون متميزون من الميدان .
- إنشاء مدينة إعلامية تضم مختصين في جميع المجالات لإعداد تطبيقات حاسوبية تعليمية ،وإنتاج الوسائل والمواد التربوية والتعليمية بأسلوب يناسب هذا العصر، واستثمار كافة وسائل التواصل لنشرها، ويرافقهم علماء وخبراء ومشرفون ومعلمون متميزون.
- تأسيس قناة فضائية لغوية علمية جذابة تناسب روح هذا العصر ، وتكون داعمة للمقررات الدراسية ، ومثرية للمشاهد .
- إعداد برامج مدرسية إثرائية لمواجهة الضعف اللغوي ، ولتثقيف المتعلمين لمواجهة الدعوة للعامية، والاكتساح اللغوي، والعولمة الفكرية .
- وضع مناشط لغوية ضمن خطة النشاط الطلابي لعلوم العربية وفنونها وعلمائها مثل : اليوم المدرسي للنحو والبلاغة واللغة ...إلخ تبين فيه جهود السلف فيه وما قدموه وأهميته ، واليوم المدرسي لسيبويه يذكر فيه الأسلوب البارع الذي بنى فيه كتابه ، ومدى ضخامة الكتاب لغويا وفكريا ، ويضاف إليهما ما يفيد المتعلمين لغويا .
- تقليص عدد المتعلمين داخل الصف ؛ ليتمكن المعلم من أداء الدرس ومتابعة التلاميذ وتقويمهم بإتقان .
- عدم المبالغة في التقليل من شأن الحفظ والتلقين لدى المتعلمين ؛ فسلف هذه الأمة سادوا زمانهم وزمان غيرهم ، وصنفوا من الكتب ما عجز المعاصرون عن مثله ، بل إن النهضة التي تعيشها الإنسانية اليوم هم أساسها ، وهم انطلقوا منهما ،وحثوا عليهما، ونصحوا بهما

ختاما

أسأل الله أن يسدد قولي ويغفر زللي ، وما كان فيما قلت من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان ، وأدعو الله منيبا مخبتا أن رزقنا الإخلاص في القول والعمل ، ويستعملنا فيما يرفع أمتنا ، وينفع أبناءنا إنه قريب مجيب .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الهوامش

١ العولمة والتخطيط اللغوي ، مجلة العلوم الشرعية والعربية ص ٢٧٤

٢سورة ص آية ٢٩

٣مجلة المعرفة العدد ٢٠٤ ص

٤ أفردت الإدارة العامة للمناهج الحديث